في كل ليلة حكاية

١٠

قاتل أبيه في غزوة بدر

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق.

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف: ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس: ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

فِي ظِلال رَايَةِ الحقِّ!!

اليَومَ أُعلِنَتْ نَتَائِجُ الشَّهادَةِ الثَّانَويَّةِ.. ومُنذُ الصَّباحِ البَاكِرِ وَ(سَعِيد) يَذْهَبُ فِي المَنْزِلِ وَيَعُودُ ، ويُريدُ أَنْ تُشْرِقَ الشَّمْسُ لِيَنْطَلِقَ إلى مَدرسَتهِ فَينظرَ نَتيْجَتَهُ..

ولمَّا رَأَتهُ خالَتُهُ (أُمُّ أَحمد) سَألتهُ: مَاذا تُريدُ أَنْ تَكُونَ هَديَّةُ نَجَاحِكَ مِنْ خَالَتِكَ يا سَعِيد؟!

تَلَعْثَمَ سَعيدٌ.. وَلَمْ يُجِبْ.. ثُمَّ تَمتمَ: أُريدُ أَوّلاً خَبرَ النَّجاحِ... وبَعدَها لَيستِ المُشْكِلَةُ هيَ الهَديَّة.

لَكِنَّ خالَتهُ هَدَّأَتْ مِنْ رَوعِهِ وهيَ تَقُولُ: أبدَاً لَنْ يُخيِّب اللهُ عَبْداً تَعبَ ودرسَ.. ذاكَرَ وَسَهِرَ.. ثُمَّ

تَوكَّلَ على اللهِ.. فَلستَ يا سَعيد مِن الطُّلابِ المُقصِّرينَ.. وَلستَ من الذينَ يَعيشُونَ في عالمِ الأَحْلامِ..

إِنَّما أَنْتَ مِمَّن قالَ عَنهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اعقِلْهَا وَتَوَكَّل» وفوقَ ذلكَ كلّه: أمّكَ رَاضِيَةٌ عَنْكَ ، وكَمَا تَعلم فَرِضَا الله مِنْ رِضَا الوَالِدينِ..

ثُمَّ تابَعتْ خالَتُهُ القَولَ: سَتكُون هَديَّتُكَ منِّي جِهَاز (كومبيوتَر) تَستَفِيد منهُ وَتُعلّم إِخوتكَ وَأخواتِكَ..

كُومبيوتَر.. ـ قالَها سَعيدٌ بِكُلِّ تَعجُّبٍ ـ ولكنِّي لا أستَحِقُّ ذلكَ كلّه يا خَالَتِي؟

أبداً فأنتَ الشَّابُّ المِثَالِيّ ـ قالَتْ (أُمُّ أحمد) ـ وَتَستَحِقّ كلّ خَيْرٍ..

ورنَّ الهَاتِفُ فِي الصَّالون.. وأَسْرَعَ سَعيدٌ إليهِ كالسَّهمِ.. رَفَعَ سمَّاعَتَهُ فَإذا بِصَوْتِ صَديقِهِ

(مُعتزّ) من دِمَشق: أَلف مَبْرُوك يا سَعِيد.. لقدْ نَجَحْتُ ونَجحتَ.. وعلاماتُكَ عَالية.. فأَنتَ تَرتيبُكَ الأوّل على صَفِّنا.. وإنْ شَاءَ اللهُ سَنَكُونُ مَعاً في جَامِعَةِ دِمشقَ.

صَاحَ (سَعِيدٌ): للهِ الفَضْلُ والأَمْرُ ، من قَبلُ وَمِنْ بَعدُ.. لَقدْ صَدقتِ يا خَالَتي فَاللهُ لن يُخَيِّبَ عَبداً تَعبَ ودرَسَ... ثُمَّ تَوكَّلَ عليهِ سُبحانَهُ..

ونَقلتْ (أُمُّ أَحمد) إلى أُختِهَا البُشْرَى.. واجتمعَ الشَّبابُ والفَتياتُ حولَ سَعِيد يزفّونَ إليه التَّبريكَاتِ والتَّهانِي..

وهُرِعَتْ (أُمُّ سَعيد) إلى مَحَلِّ حَلويَاتِ الصَّفا.. واشتَرَتْ بَعضَ أَنواعِ الحلويّاتِ والسَّكاكِرِ.. وعادَتْ تَحمِلُها... والفَرْحَةُ تَملأُ كلّ جَوَارِحِهَا.

وأَمّا (أُمّ أَحمد) فَهَمَست في أُذُنِ زَوْجِها: أُريدُ

أَنْ نَذهَبَ حَالاً لنَشترِي هديَّةَ النَّجاحِ لابن أُختي (سَعيد)..

وَفِي المَساءِ كَانَ أَصدِقَاءُ (سَعيد) يَجتَمِعُونَ في حَديقَةِ المَنزِل، يُشاركُونَهُ الفَرحَةَ.. وَإذا بأَبي أَحمد يُنادِيهِ مِنَ المَنْزِلِ: تَعالَ يا سَعِيد... هَا هيَ خَالتكَ قَدِ اشترَتْ لكَ الهَديَّةَ التي وَعَدتكَ بِهَا.. أينَ تُريدُ وَضعَ الكُومبيوتَر؟!

وَازدَادتِ الفَرحةُ فَرحةً ثانيةً.. وَتَمَّ وَضْعُ الجِهَازِ في الغُرفَةِ الدَّاخِليَّةِ.. واجتمعَ الشَّبابُ حَول صَديقِهم.. ورَاحُوا يُشَاهِدونَ بَعضَ الأُمورِ على شَاشَةِ الجِهَازِ..

وَكانتِ البدايةَ أَن وَضَعَ (دِيسكَ القُرآنِ الكَريمِ) فَخَرجَ على الشّاشةِ قَول الله تعالى:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ

إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قَالَ (أحمد): نُريدُ أَنْ نَرى تَفسيرَ هَذهِ الآيةِ الكَريمةِ يا سَعيد.

ضَغَطَ (سَعيد) عَلى بَعضِ أَزرارِ الجِهَازِ، فَخرجَ على شَاشةِ الجِهَازِ مَا يَلي:

قَالَ الحَافظُ ابنُ كَثيرٍ رَحِمهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيةِ:

﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾: نَزلتْ فِي أَبي عُبيدَةَ قَتلَ أَباهُ يومَ بَدرٍ.

﴿أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾: نَزلت فِي أَبي بَكرٍ الصِّدِّيقِ هَمَّ بِقتلِ ابنِه عَبدِ الرَّحمن.

﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾: نَزلتْ في مُصعَبِ بن عُمَيرٍ قَتل أخاهُ عَبيد بن عُمَير يُومئذٍ.

﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾: نَزَلتْ في عُمَرَ بنِ الخطَّاب قَتلَ خَاله العَاصَ بن هِشَام بن المُغِيْرَة ، وفي حَمزَةِ وَعليّ وعُبَيْدَة بن الحَارِثِ ، قَتَلوا عُتبةَ وَشَيبةَ والوليدَ بن عُتبَة ، وَكانَ ذلكَ فِي غَزْوَةِ بَدرٍ..

التفتَ (أنور) إلى أُمِّهِ وَسَألها: وكيفَ يقتلُ الابنُ أَباه؟

وتُجِيبُهُ (أُمُّ أحمد): أَجل فَالمَسألةُ إِمَّا كُفرٌ أَوْ إِيْمَانٌ ، وَذاكَ أَبو عُبَيدة بن الجَرَّاحِ لمّا كَانتِ مَعْركةُ بَدْرٍ راحَ أَبوهُ يَتصدَّى له ، يُريدُ أَنْ يَقْتُلَهُ ، وأَبُو عُبيدَةَ يَبتَعِدُ عنهُ رِعَايَةً لحقِّ الأبوّة.. وتكرَّرَ ذلكَ مَرَّاتٍ ، فمَا كَانَ مِنَ أبي عُبَيْدَةَ إلاّ أَنْ قَتَلَ أَباهُ المُشرك.. فَأَنزلَ اللهُ الآيةَ تُشِيدُ

بِموقفِ أَبي عُبيدَة وَنُصْرتهُ للحقِّ حتَّى لو كانَ على حِسابِ وَالِدِهِ!!

وَيُتابعُ مَسيرةَ الجِهَادِ!!

تَابعتْ (أُمُّ أَحمد) الحِكَايَةَ عن البَطلِ أَبي عُبيدَةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ:

وَفِي مَعركَةِ (أُحد) وَقَفَ أَبو عُبَيدَةَ معَ الذينَ ثَبتُوا حَولَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُدافِعاً.. حتّى إذا ما أُصيبَ الرَّسُولُ في وَجهِهِ ، ودَخَلتْ حلقَةٌ في وَجنَتِهِ ، تَقدَّمَ أَبو عُبيدَةَ مِنْ وَجهِ رَسولِ اللهِ ﷺ وَحَاوَلَ أن يَستخرِجَ الحَلقةَ فلم يَستَطِع ، فأخذَها بأَسنَانِهِ وَحَاولَ... فَسَقَطَتْ ثَنيّتُهُ..

وَفِي فَتحِ مكَّةَ المُكرَّمَة كَلَّفه رَسولُ اللهِ أنْ يَدْخُلَ مِنَ النَّاحِيةِ الشّماليّةِ الغَربيَّةِ دونَ قِتالٍ إلاّ للضَّرورةِ القُصْوَىٰ..

وَقد نَالَ أَوسمةً فَرِيْدَةً!!

فالرَّسُولُ ﷺ بَشَّره بالجنَّةِ.. وأَطْلَقَ عليهِ لَقباً رائِعاً فَقَالَ: «هَذا أَمينُ هَذِهِ الأُمَّةِ».

ولمَّا انتقلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى الرَّفيقِ الأَعلى ، تَابعَ مَسِيرَةَ الجهادِ من بَعدهِ أَبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وكانَ من الفُرسَان الأَبطالِ مَعه أَبو عُبيدَة بن الجَرَّاح.

وَفِي عهدِ الفَارُوقِ عُمَرَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ قَادَ جَيْشاً كَبِيْراً.. وفتحَ اللهُ عَلى يَدَيْهِ بِلاداً كَثيرةً: كَدِمشقَ ، وَحِمْصَ وحَمَاةَ واللاذِقِيَّةِ وأَنطاكيَّة ، والجزيرةِ السُّوريَّةِ ، وحَلبَ ، وبعلبكَ ، وغيرهَا الكَثِير مِنَ البِلادِ..

عُمَرَ يقولُ: أينَ أَخِي أَبُو عُبَيدَة؟

تَابعتْ (أُمُّ أحمد) الحكايةَ الرَّائعةَ:

ولمَّا قدمَ الخَليفةُ عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى بِلادِ الشَّامِ ، وتَلَقَّاهُ الأُمَراءُ وقَادَةُ الجيش ، والتَفَتَ الخَليفةُ فلمْ يَجدْ أَبا عُبيدَة ، فقال: أينَ أَخِي أبو عُبَيْدَة؟

قَالُوا: يا أَمِيرَ المُؤمِنينَ ، إِنَّهُ يَنصحُ الجُنْدَ بِبَعضِ النَّصائِحِ.

فَتقدَّمَ الخَليفةُ عُمَر.. فَسمَعِ أَبا عُبَيْدَةَ يَقولُ: ألا رُبَّ مُبيّضٍ لِثِيابِهِ ، مُدنِّس لدينِه؟ أَلا ربَّ مُكرمٍ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لها مهين؟ بَادِرُوا السَّيِّئاتِ القَدِيماتِ بالحَسَناتِ الحَديثَاتِ ، فَلو أنَّ أحدَكُمْ عَمِلَ من السَّيئاتِ ما بَيْنَهُ وبينَ السَّماءِ ، ثُمَّ عَملَ حَسنةً لَعَلَتْ فَوقَ سيِّئاتهِ حتَّى تَقهرَهنَّ..

ثُمَّ تَلا قَوْلَهُ تَعالى:

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ

ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿

[هود: ١١٤].

فالتَفَتَ الخَلِيفَةُ إلى قوَّادِ جَيشِهِ وَقالَ: أَتمنَّى بَيتاً مُمْتلئاً رِجالاً مثل أَبِي عُبَيْدَة بن الجرَّاح!!

ولمَّا نظرَ أَبُو عُبيدَة رأَى الخَليفةَ عُمَر.. فَانكبَّ عَليهِ يُقَبّلهُ.. فَقَالَ الخَلِيفَةُ: هيَّا أَبا عُبَيدَةَ اذْهَبْ بِنَا إلى مَنْزِلِكَ..

فَكيفَ كانَ بيتُ أَميرِ بِلادِ الشَّامِ؟ هَلْ كَانَ يَجلسُ في القُصورِ وحَولَهُ الخَدَمُ وَالحَشَمُ؟!

لا ، إنَّما كَانَ أبُو عُبَيدَةَ مِنْ طِرازٍ آخَر ، لَقد كانَ مِن قومٍ طَلَّقوا الدُّنيا ثَلاثاً وعاشُوا فيها أَجسَاداً ، بَينَما أَرواحهُمْ كَانَتْ تُرَفرِفُ في جنَّاتِ الخُلدِ..

فَقالَ أَبُو عُبَيْدَة: وما تَصنَع عِندي يا أَميرَ المُؤمنِين؟

وانطلقَا إلى بَيْتِ أَميرِ الشَّامِ ، فلمَّا دَخَلَ الخَليفةُ نَظَرَ إلى فِناءِ البَيْتِ ، فلمْ يرَ إلا قِطعةً من لبدٍ وقربة ماءٍ صغيرةٍ ، وقَصْعَةً قَدِيْمَة!!

فَقالَ الخَليفةُ: أعندكَ طَعَامٌ يَا أَبا عُبَيدة؟

قالَ: نعم ، فَقَامَ إلى وِعَاءٍ ، فَمدَّ يَدَه فِيه ، فأَخرجَ بَعْضَ كَسراتِ الخُبزِ ، فَوَضَعَها في القَصْعَةِ.. ثُمَّ صَبَّ عليها قَليلاً مِنَ المَاءِ ، وقَدَّمَها للخَلِيْفَةِ!! عندئذٍ بَكَىٰ أَمِيْرُ المُؤمنِينَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقالَ:

غَيَّرتنا الدُّنيا كلّنا غيرك يا أَبا عُبَيدة!!

ثُمَّ قَالَ الخَليفَةُ عُمَر: وأينَ مَالك يا أَمير الشَّامِ؟

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وأيّ مالٍ يَبقَىٰ عِنْدي ، وقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

«مَنْ أنفقَ نَفقةً فِي سَبِيْلِ اللهِ فَبسَبعمئةٍ ، وَمن أَنفقَ على نَفسهِ وأهلهِ ، أَوْ عَادَ مَرِيْضاً ، أَوْ

ما زَاد فالحَسنةُ بِعَشرِ أَمثالِها ، والصَّوْمُ جُنَّة ما لَمْ يَخرِقْها ، ومن ابتَلاهُ في جَسدِه فهوَ له حِطَّة».

وَصِيَّـةٌ قَبلَ الشَّهادة!!

وَلمَّا وَقَعَ طَاعُون عَمواس ، وذلكَ في سَنَةِ ثَمانيةَ عَشرة من الهِجرَةِ ، أُصِيْبَ أَبو عُبَيْدَةَ بالطَّاعونِ ، ودَنَا الأَجَل.. فاجتمعَ حَولهُ أَصحَابُهُ فَقالَ:

يا مَعْشرَ المُسلِمين ، إنِّي مُوصيكُمْ بوصيَّة ، إن قَبِلتُموهَا لن تَزالوا بِخَيْرٍ ، أَقيمُوا الصَّلاةَ ، وآتُوا الزَّكاةَ ، وصُومُوا شَهرَ رَمَضانَ ، وتَصدَّقُوا وحُجُّـوا ، واعتَمِـرُوا ، وانصَحُـوا لأُمـرائِكُـمْ ، ولا تَغشُّوهُمْ ، ولا تُلهِكُم الدُّنيا ، فإنَّ امرأً لو عُمِّر ألفَ حَوْلٍ ، ما كَانَ لهُ بُدٌّ من أَنْ يَصيرَ إلى

مَصْرَعِي هذا الذي تَرَوْنَ، إنَّ الله كَتَبَ المَوتَ على بَني آدمَ فَهُمْ مَيِّتون ، وأَكْيسُهم أَطوعُهم لِربِّه ، وأَعملهُمْ لِيَومِ مَعادِهِ ، والسَّلامُ عَليكُمْ وَرَحْمَةُ الله، يا مُعَاذ بن جَبل، صلِّ بالنّاسِ، ومَاتَ!!

فَقَامَ مُعاذ وقال: يا أَيُّهَا النَّاسُ ، تُوبوا إلى اللهِ مِنْ ذُنُوبِكُمْ تَوبةً نَصوحاً ، فإنَّ عَبداً لا يلقَى اللهَ تائباً من ذَنْبِهِ إلاّ كانَ حقاً على الله أَنْ يغفرَ لهُ ، ومَنْ كانَ عليهِ دَيْنٌ فليقْضه ، فإنَّ العبدَ مُرتهنٌ بدينهِ ، ومن أصبحَ مُهاجراً أخاهُ فليأتِهِ فلْيُصَالِحهُ ، ولا يَنْبَغِي لِمُسلمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخاهُ أكثرَ مِنْ ثَلاثٍ ، وهو الذَّنبُ العَظِيْمُ.. ترحَّموا على أَخِيْكُمْ ، وَاحضرُوا الصَّلاةَ عَليهِ..

وصلَّى المُسلِمُونَ على أَمِينِ الأُمَّةِ ، المُبشَّر بالجَّنَةِ ، أبي عُبيدةَ بن الجرَّاحِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، ودُفنَ بِغَورِ بيسانَ في الأُرْدُنِّ.

فَـرَضِـي اللهُ عَنْـهُ وأرضـاهُ ، وجَعلنَـا مـن المُتَمَسِّكينَ بسيرتهِ الطَّاهرةِ ، والسَّائرينَ على خَطِّه ، والمنضمِّينَ تحتَ لواءِ رَسُولِ اللهِ يوم الدِّين.

ورَتَّلَتْ (ابتهال) قَولَهُ تعالى:

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين